

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإمام الزيدى عبد الله بن حمزة  
وكتابه زيد الأدلة

دراسة وتحقيق  
دكتور عبد الفتاح أحمد فؤاد  
أستاذ الفلسفة المساعد  
كلية التربية - جامعة الإسكندرية



## الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة

( ٥٦١ ٥٦٤ هـ )

حياته وعصره :

أقدم للباحثين في مجالات الفكر الفلسفي الإسلامي علماً من أعلام المذهب الزيدي ، ومفكراً جمع بين العلم والأدب ، وفارساً برز في ميدان السياسة والحروب ، كان حاكماً اليمن وحكيمها في القرن السادس الهجري ، تولى قيادة بلاده عقائدياً وسياسياً ، ولقب برب السيف والقلم ، لأنه قاد الجيوش في معارك عديدة ، وخلف تراثاً ضخماً ، لا يزال الكثير منه محفوظاً في مخطوطات تنتظر منذ قرون عديدة من يريح عنها التراب المتراكم ، ويخرجها إلى النور ، ويبدل الجهد في تحقيقها ونشرها وتقديمها للجمهور المثقفين .

إنه أمير المؤمنين ، المجدد أحكام الدين للمائة السادسة بالبلاد اليمنية الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة . يشير المؤرخ زياره في كتابه « أئمة اليمن » إلى عدة مصادر لترجمة الإمام عبد الله بن حمزة ، فيذكر أن له سيرة خاصة جمعها الشيخ علي بن نشوان بن سعيد الحميري في القرن السادس ، تقع في أجزاء كثيرة ، ثم اختصرها الشيخ أبو فراس دغثم النضجاني في ستة أجزاء ، وعرفت بسيرته الصغرى ، ونقل منها صاحب الحقائق الوردية وآخرون .

كان فارساً إنجاني طويل القامة ، حديد البصر ، كث اللحية ، غلب الشيب على عارضيه خاصة . وكان نادرة عصره في الذكاء والحفظ والبراعة والبلاغة والشجاعة ، عرف بالزهد والتقوى .

ولد بجبل عيشان من ظاهر بلاد همدان ، في ربيع الثاني سنة ٥٦١ هـ ، وأخذ عن أبيه حمزة بن سليمان ، والشيخ المحقق الحسن بن محمد الرصاص وغيرهما ، درس صحيح البخاري وسائر أمهات كتب الحديث وكتب التفسير وغيرها من كتب العلوم الإسلامية . بعد أن أتم القرآن في صغره ، بدأ بحفظ علوم الأدب فبرز فيه تميز البغواء ، حتى قيل إنه أشعر الطائيين باليمن . كثر حفظه

لأشعار العرب وأيامها وأنسابها وقبائلها ويوتها ، وما كان من أخبارها في  
الجاهلية ، وحروبها وسلمها ، ومن هلك من العرب قتلاً ، ومن أسلم منهم  
ظوعاً ، ومن أسلم منهم كرهاً ...

تسلم الإمامة في اليمن بتكليف من أهل عصره . فقد كان اليمن قبل توليه بغير  
أمام للزيدية ما يقرب من ربع قرن ، فمنذ وفاة الإمام أحمد بن سليمان سنة  
٥٦٦ لم يبق في اليمن إمام ، فلما كانت سنة ٥٨٣ قام عبد الله بن حمزة بدعوته  
الأولى في بلاد الجوف ، ثم انتقل إلى بلاد صعده واستقبله الأميران يحيى وأحمد  
إبني يحيى بن أحمد من نسل الإمام الهادي مع جماعة من قبيلة حولان بن قضاة  
وغرها ، وباهوه ، ثم دخلوا به مدينة صعده ، وجاءته رسائل من أهل حصن  
ميتك يطلبونه لتخليصهم من نفوذ بني حاتم ، فوصل في عام دعوته إلى بلاد  
كحلان لمساعدة أهلها في الحرب التي قامت بينهم وبين السلطان علي بن حاتم  
اليامي ، وكثرت معاركه مع سلاطين بني حاتم .

وكان قد أتى من مصر إلى اليمن سيف الإسلام طغتكين<sup>(١)</sup> ، وقد أحاطت  
قواته الأيوبية بمجموع القبائل الموالية للإمام عبد الله بن حمزة ، وكانت الهزيمة  
للإمام الزيدى ، فاضطر للمسكون حتى وفاة طغتكين سنة ٥٩٣ ، فلما تول  
إبه المنز السلطنة أحدث انقساماً في صفوف الأيوبيين ، فاستغل عبد الله بن  
حمزة هذا الانقسام ، وجدد الإمام دعوته مرة ثانية في ذي القعدة سنة ٥٩٣  
وتكفل الزيدون وراء أمامهم لكي يتسنى لهم القضاء على الحاكم الأيوبي السني في  
اليمن ، واستطاع الإمام المنصور بالله تحقيق كثير من الانتصارات على الأيوبيين  
تحت قيادة المعز .

(١) طغتكين بن أيوب : أرسله المعز صلاح الدين الأيوبي لمد اليمن ليتولى أمر الحكم فيها ، ويحصل على  
استقرار الأوضاع ، ويقضي على الفتن القائمة .

تجهز طغتكين في ألف فارس وبمسانة راجل ، ومخرج من القاهرة متوجهاً في طريقه إلى اليمن ،  
ساراً بمكة المكرمة التي دخلها متحزراً في رمضان سنة ٥٧٩ ، ثم وصل إلى زيد في ١٣ شوال سنة  
٥٧٩ حيث واصل تقدمه في بلاد اليمن واستطاع توحيدها تحت حكمه ، وأدت حروبه إلى زوال  
عولة آل الصليحي الإجماعية ، وآل حاتم اليمانية الهندانية عن قطر اليمن من سنة ٥٨٦ .

تول طغتكين بمدينة المنصورة باليمن في ٢٦ شوال سنة ٥٩٣ ، وخلفه إبه المعز بمسماجل .  
( راجع : د. محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون في اليمن ) .

وقد واجه عبد الله بن حمزة معارضة في صفوف الزيدية ، وزادت هذه المعارضة بقيام يحيى ابن الإمام أحمد بن سليمان الذي خرج على الإمام عبد الله بن حمزة ، وكتب رسالة إليه ضمنها السب الفظيع له ، ودعاه بمسيلة الكذاب ، وجهر جيشاً مخاربتة في بلدة أثافت ، ولكن تمكن الإمام المنصور بالله من الانتصار على يحيى بن أحمد بن سليمان وأسرته ثم قتله وقتل كثيراً من أتباعه .

وبدأت حروب عبد الله بن حمزة ، في سنة ٦٠٣ ، مع جماعة من الزيدية تعرف باسم الزيدية المخترعة أو المطرفية أتباع مطرف بن شهاب ، فتوعدهم الإمام ، وحكم بتفكيرهم ، وجواز سبيهم ، واستباحة أموالهم ، وقال في ذلك قصيدة جاء فيها :

لست ابن حمزة إن تركت جماعة يتجمعون بقاعة منكـــــ  
فلأوردن البيض في أعناقهم وسنابك الخيل الجياد الضمـــــ

وكانت المراكز الرئيسية للمطرفية في قاع البون من بلاد حاشد ولى بنى مطر من بلاد البستان ، وفي سناع من أعمال صنعاء ، فقاتلهم الإمام المنصور بالله ، وهدم دورهم ومساجدهم في سناع وغيرها .

وحدث في سنة ٦١٠ أن خرج على الإمام عبد الله بن حمزة السيد محمد بن منصور بن المفضل من نسل الإمام الهادي ، وانضم إلى المطرفية أهل وقش ، ولقب بالمشرق ، وأنكر على الإمام عبد الله بن حمزة ما وقع منه من تكفيره للمطرفية ، وتابعه أهل بلاد مسور حجة ، وبلاد المغارب من حمير وغيرهم . أما الإمام فإنه جهز لحربه أخاه الأمير يحيى بن حمزة ، وانتهت الحرب لصالح الإمام . وفي سنة ٦١١ أنشأ الفقيه حسن بن محمد المعروف بابن الساسخ المطرفي رسالة إلى خليفة بغداد الناصر أحمد بن المستظهر العباسي لإطفاء نار تأججت باليمن أذكى وقودها ابن حمزة ، فمألاً مع بعض أهل اليمن على نصرته ، وسارعوا إلى جمعته وجماعته ، وعقدوا له الألوية والبنود ، وأطاعوا أمره كطاعة الملك المعبود ، وحشدوا له الرعية والجنود ... أما عبد الله بن حمزة

فقد بعث بلوره في نفس العام ٦١١ إلى خليفة بغداد برسالة تتضمن قصيدة شعرية جاء فيها :

يا أهل بغداد إن الله سائلكم  
أتم عيون بني الأيام قاطبة  
قد اشتلتم على عمياء مظلمة  
إن الخلافة أمرها هائل خطر  
لو كان ما أتمو فيه على سنن  
عن ملة الدين إذ غيرتموا فيها  
في النائبات ولكن القذى فيها  
لا يبتدى بتجوم الحق هادياً  
صعب مسالكها صعب مراقبها  
قام المريض إلى المرضى يداويها

وفي ذي الحجة من عام ٦١٣ خرج الإمام المنصور بالله من حصن ظفار الظاهر يريد حصن كوكبان شبام ، ولما وصل إلى قاع اليون من بلاد عمران ابتدأه المرض فسار ، واشتد به المرض في كوكبان . وهو مع ذلك يظهر التجلد والصبر والنظر في أمور الناس حتى توفاه الله تعالى بكوكبان في يوم الخميس الثاني عشر من محرم سنة ٦١٤ ، عن اثنين وخمسون سنة وثمانية أشهر من مولده ، وعن تسع وعشرين سنة من دعوته الأولى .

مصنفاته :

يذكر زباره أن مصنفات الإمام المنصور بالله في فنون العلوم المختلفة تزيد على أربعين مصنفاً ، بينها يورد الباحث اليمني عبد الله الحبشي قائمة بمؤلفات الإمام تتضمن ٨١ مصنفاً ، بعضها مفقود ، والكثير منها موجود في مخطوطات في شتى مكبات العالم وبخاصة المكتبة الغربية بجامع صنعاء . ويلاحظ أن قائمة الحبشي لا تدل على أن أحداً من مصنفات الإمام العديدة قد طبع . أو أن أحداً من الباحثين قد عنى بتحقيق شيء من تراثه الضخم .

وقد بدل عبد الله الحبشي مجهوداً كبيراً في إعداد قوائم مصنفات حكام اليمن لا شك أنها تفيد الباحثين في الفكر الزيدي ، إلا أن هذه القوائم غير كاملة ، مثال ذلك أنه يذكر من مصنفات عبد الله بن حمزة المصنف رقم ٤٥ في قائمته وهو « شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة » ، ويقول : منه نسخة مخطوطة سنة ١٠٨٥ بمكتبة الجامع الغربية رقم ٧٠ كلام . والواقع أن لهذا

الكتاب نسخاً مخطوطة أخرى موجودة بالمكتبة المذكورة تحت رقم ٩٦ ،  
٩٧ ، ٩٨ علم الكلام .

وتدل قائمة مؤلفات عبد الله بن حمزة على أنه لم يدع مجالاً من مجالات  
العلوم الإسلامية في عصره إلا وكتب فيه : فقد شرع في كتابة تفسير القرآن ،  
ولكنه لم يكمله ، وله في الحديث « حديقة الحكمة النبوية في شرح الأربعين  
السليبية » ، وله في الفقه مصنفات عديدة مثل : « الدر المنثور لفقه الإمام  
المنصور » ، وكذلك له أجوبة كثيرة عن مسائل فقهية سئل عنها ، وفي أصول  
الفقه له « صفوة الاختيارات » ، كما أجاب عن مسائل تتعلق بالصحابة ،  
وبين آراءه السياسية ، وأفاض في بيان عقائد الزيدية ، وموقفه من الفرق  
الأخرى كالمعتزلة والأشاعرة والمطرفية والإمامية والباطنية والحلولية ... وكان  
عبد الله بن حمزة شاعراً فترك ديواناً جمعه أحد أبنائه ، وهو مقسم إلى ثمانية  
أبواب ، كما كان فارساً فكتب أرجوزة في صفات الخيل وألوانها وتعرعها  
وأصولها ... الخ .

ولعل أضخم مؤلفاته في بيان المذهب الزيدي وموقفه من عقائد الفرق  
الأخرى هو كتابه الباهر « الشاق » الذي توجد له عدة نسخ مخطوطة .  
ويذهب ابن الزحيف صاحب مخطوطة « مآثر الأبرار » إلى أن فقيهاً في عصر  
الإمام المنصور بالله بن عبد الله بن حمزة ، من شافعية اليمن قد أنشأ رسالة سماها  
الحارقة ، قدح فيها على المنصور وسائر الزيدية ، وقال إنه يتولى الأولين من  
الزيدية دون المتأخرين ، لأنهم خالفوا مذهب أسلافهم في العقائد وفي أمور  
الصحابة . فأجاب عليه المنصور بكتاب الشاق وهو أربعة مجلدات<sup>(٢)</sup> . أما  
زياره فيقول عن مصنفات عبد الله بن حمزة : أشهرها كتاب الشاق في أربعة  
مجلدات ضخمة ، تتضمن الرد على صاحب الرسالة الحارقة وهو الفقيه ( عبد  
الرحيم ) بن أبي القبائل ( توفى سنة ٦١٦ ) من بلاد جبلة باليمن<sup>(٣)</sup> .

(٢) ابن الزحيف : مآثر الأبرار ، مخطوطة بالمكتبة القومية بجامع صنعاء ، ص ٤ ب .

(٣) ويذره : أئمة اليمن : ١٠٩/١ .

وقد اطلعت على بعض نسخ مخطوطة من هذا الكتاب الضخم في المكتبة العربية بجامع معاء ( وخاصة النسخة رقم ٧٧ علم الكلام ، والنسخة رقم ٨١ علم الكلام ) . ويذكر الإمام المنصور بالله في مستهل كتابه السبب الذي دعاه إلى كتابته ، فيقول : إن الرسالة الحارقة وصلتنا في شهر شوال سنة ثمان وستائة ، وابتدأنا نسطر جوابها في شهر ربيع الأول سنة تسع وستائة ، وسبب تراخي المدة كثرة الاشتغال . ويذهب عبد الله بن حمزة إلى أن مما جاء في هذه الرسالة مدح صاحبها لنفسه ولأهل مقالته ، وأنهم أهل السنة والجماعة ، ومنها ذمه لما ورد من جهتنا من الرسالة المتضمنة للآثار النبوية المأثورة عن جميع البرية ، فذكر ما زعم أنه دليله على جهلنا وقلة معرفتنا<sup>(٤)</sup> . . .

ومحاول فيما يلي أن نستخلص من كتاب الشافعي معالم المذهب الزيدي ومؤلف مؤلفه من أهم الفرق المخالفة :

### مؤلفه من أهل السنة والجماعة :

بين عبد الله بن حمزة أصل تسمية أهل السنة والجماعة بهذا الاسم ، فيزعم أنهم يسمون بالسنة لتقدم سلفهم واستمرارهم على سبب علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقرههم إنه السنة ... ولما اضطر الحسن عليه السلام إلى صلح معاوية وتسليم الأمر له سموا العام عام الجماعة ، وسموا من دخل في ذلك واتفق له الجماعة ، فقالوا إنهم السنة والجماعة ، وأكبر دليل على ما قلنا لذوى العقول السليمة تشدد التسمين بالسنة والجماعة على محبة معاوية<sup>(٥)</sup> ... وولده ( يزيد ) وتعاملهم على علي بن أبي طالب عليه السلام بتقديم غيره عليه ، وتصريحهم بغضه وذريته والظعن عليهم ... وليت شعري أين قرأ عبد الله بن حمزة تصريح أهل السنة والجماعة في كتبهم يبغض على كرم الله وجهه والظعن عليه أو على ذريته ؟ ولماذا لم يورد في كتابه الضخم نصراً من كتب أهل السنة والجماعة تفيد هذا المعنى ؟ أظن أنه حاول ذلك فلم يظفر بمواده فتجنى على القوم ونسب إليهم هذه القرية الباطلة ، وأثبت ما لا دليل على صحته .

(٤) المثال : ٢/١ ب .

(٥) لا يذكر عبد الله بن حمزة معاوية إلا ويلحق به النعنة .

ومن شتاعات عبد الله بن حمزة أنه يعد أهل السنة والجماعة فرقة « المجبرة المحجورة القدرية : محجورة لقولهم بالخبر ، محجورة لإضافة كل جور إلى الله تعالى ، قدرية لقولهم المنعصى بقضاء الله وقدره »<sup>(٦)</sup>. ويذهب الإمام الزهدي إلى أن « أول من أحدث القول بالخبر معاوية ... لأنه قال من على الخير . إنما أنا خازن من خزان الله ، أعطى من أعطى الله ، وأحرم من حرم الله . وقال : ما أظهرني الله عليكم إلا وهو يريد ذلك ، فأضاف ظلمه وغشمه إلى الله تعالى ، ونسى أن مدة فرعون أطول من مدته ، وسطوته على بني إسرائيل أعظم من سطوته ، فانقضت أيامه ، وذهب سلطانه » .

إن أهل السنة والجماعة إذن هم الأولى - في نظر عبد الله بن حمزة - أن يطلق عليهم مصطلح القدرية . « والذي أجمعت عليه القدرية أنه تعالى يخلق أفعال العباد ، وأنه يريد الكفر والقياس ، وأن جميع ذلك بقضائه وقدره ، وأنه يضل عن الدين من يشاء ، وأنه يلبس على الناس . وبعضهم زعم أن الاستطاعة مع الفعل ، وأنه لا يثيب ولا يعذب على الأعمال ، وعندهم أنه تعالى يمنع من الإيمان ويكرهه ولا يريد ثم يعذب عليه مع قوله تعالى : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا ﴾<sup>(٧)</sup> ، ويقولون إنه يخلق خلقاً للنار مع قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾<sup>(٨)</sup> .

ثم يعرض عبد الله بن حمزة لبعض الفرق التي يعدها من المجبرة ، فيذكر منهم الضرارية أصحاب ضرار بن عمرو ، والجهمية أصحاب جهم بن صفوان ، والتجارية أصحاب حسين النجار ، والكلائية وهم أصحاب عبد الله بن أبي سعيد ، وغيرهم .

ويعرض في شيء من التفصيل لأقوال الأشعرية أصحاب أبي الحسن الأشعري ، فلقد « فشا مذهبه بعده » ، ويعد الأشعرية أيضاً من الفرق المجبرة ، وأن أقوالهم مثقاربة مع الكلائية ، ويعرض مذهبهم فيخلط الحقائق

(٦) الشافعي : ٣٨١ ب .

(٧) الإسراء : ٩٤ ، الكهف : ٥٥ .

(٨) الداريات : ٥٦ .

بالأباطيل والافتراءات . يذكر أن الأشعري بصرى وليس له سلف يرجع إليهم ، لا من أهل العدل ، ولا من أهل الخير ، لأنه درس على أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة ، وخالفه إلى مقالة المجرة ، ولم يرجع إلى أحد من شيوخ المجرة . بل أحيا مذاهب لجهم بن صفوان كانت دائرة ، فحرفها وصحفها ليقيم له أدنى مسكة من الإسلام ... ومما أحدثه أنه تعالى مسوع ، وأنه أسمع نفسه موسى ، وروى عنه أنه تعالى يدرك بجميع الخواص .. وكان يقول : إن علم الله وقدرته وحياته وسمعه وبصره معان قديمة ، وما أطلق أحد قبله القول بأنها قديمة .

وزعم أن الكلام صفة الله تعالى ، ( وأنه ) شيء واحد ، ليس بذى حروف ولا سور ، وأنه التوراة والإنجيل والفرقان ، وأن هذه الكتب المنزلة ليست بكلامه ، وما يتلى ويكتب ويحفظ مخلوق وليس بكلامه تعالى ، وزعم أن نبيه وأمره شيء واحد ، والأمر بالصلاة هو الأمر بالزكاة ... وأنه تعالى لم يزل يخاطب موسى « يا موسى »<sup>(٩)</sup> ، ويخاطب آدم « أسكن أنت وزوجك الجنة »<sup>(١٠)</sup>.

وزعم أن أهل الجنة يرون الله لا في جهة ، غير منفرد منهم ، ولا خارج من أجسامهم وذلك يوجب أنه يرونه في أنفسهم .

وزعم أنه تعالى يرضى الكفر ويحب ، ولم يوافق أحد على ذلك ، وزعم أنه لو كلف العاجز لحسن ، ولو كلف جميع الضدين لحسن ، ويحسن تكليف ما لا يطاق ، وأن الاستطاعة مع الفعل ، وأن جميع الأوامر تكليف ما لا يطاق ، وزعم أنه تعالى لو عاقب الأنبياء على ذنوب الفراعنة ، وأثاب الفراعنة على طاعة الأنبياء لحسن منه . وزعم أن الثواب والعقاب ليسا بجزاء على الأعمال ، وزعم أن فعل العبد خلق الله كسب للعبد ... وزعم أنه لا يقبح شيء عقلاً ولا يحسن عقلاً ، ولو حسن الكذب وكل القبائح جاز ، ولو أظهر المعجز على يدى كذاب جاز ، وزعم أنه تعالى يفعل لا لغرض ، وزعم أنه يضل عن

(٩) ضه : ٢٠

(١٠) القرآ : ٣٥ ، لأمراف : ٢٩ .

الدين ، وأنه يخلق الكفر في الكافر ، ويمتعه الإيمان ثم يعاقب عليه .  
وزعم أن اليد والجنب والوجه صفات ( إلهية ) ، وأن الاستواء على العرش  
صفة .

وزعم أنه يجوز أن يؤلم أنبياءه وأصفياه والمجانين من غير عوض ، وجوز  
بعثة نبي كان كافراً قبل البعثة ، مرتكباً كل قبيح ، وزعم أن الرسل بعد موتهم  
لا يكونون أنبياء ، والمؤمنون بعد موتهم لا يكونون مؤمنين (1) ، وزعم أن النائم  
والساهى ليسا بمؤمنين ، وزعم أن ليس في جهنم إلا الكافر ، لأن غيرهم  
يعرفون الله فلا يخلدون في النار ، وغير ذلك من المذاهب التي يطول  
تقصيها ... » (11)

وأما الحشوية فهؤلاء الذين يسمون أنفسهم بأصحاب الحديث ، وأنهم أهل  
السنة والجماعة ، فليس لهم مذهب معروف ، إلا أنهم يجمعون على الجبر  
والنشيه ، ويدعون أن أكثر السلف منهم ، وهم براء من ذلك ، وينكرون  
الحوض في الكلام والجدل ، ويعولون على التقليد وظواهر الروايات ، ويقولون  
إن الله تعالى على العرش ، ويجوزون عليه النزول والصعود ، ويقولون ما بين  
الدتين كلامه تعالى وهو قديم ، ويشنون الأعضاء لله تعالى ، ويروون له يدان  
كلتاهما يمين . ومن عجائبهم أن واحداً منهم روى أن جهنم لا تمتلئ حتى يضع  
الجبار فيها قدمه ، ولهم ترهات كثيرة ، ومن رجالهم أحمد بن حنبل الذي ضربه  
المتعصم بالسياط . ويستطرد الإمام الزيدي في ذكر علماء الحديث وضمهم ،  
فيشير إلى إمام الأئمة الخافظ ابن خزيمة ( ٢٢٣ - ٣١١ ) بقوله : « وقد  
صنف محمد بن اسحق بن خزيمة كتاباً يسمى كتاب التوحيد (12) ، ذكر فيه  
عضواً عضواً ، وروى فيه أحاديث وآثاراً ... » ، ويتجنى عبد الله بن حمزة  
كثيراً على علماء الحديث ، فيزعم أنهم رووا أن الله تعالى خلق ملائكة من  
زغب ذراعيه ، وأنه اشتكى عينه فعادته الملائكة ، وأنه تعالى يجلس في روضة

(١١) الشافعي : ١ / ٣٩٩ .

(١٢) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب . طبع أكثر من مرة ، مثل طبعة دار الباز بمكة المكرمة

بمراجعة محمد خليل المرادم سنة ١٩٧٨

خضراء على كرمي حوله الملائكة ، وأنه يضع رجلاً على رجل<sup>(١٣)</sup> إلى غير ذلك من الإسرائيليات الشيعة التي يرجع الفضل إلى علماء الحديث في بذل الجهد من أجل تنقية السنة المطهرة منها .

من هم القدرية :

ببراً الزيدية والمعتزلة من لقب القدرية الذي يطلقه عليهم أهل السنة ، ومعلوم أن هذا اللقب مذموم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « القدرية مجوس هذه الأمة » . يقول عبد الله بن حمزة في رده على أهل السنة « فإن قالوا أنتم القدرية من الأمة ، فمذهبكم الذي يضاهاى مذهب المجوس ، حيث أثبت صانعين ، كما أنهم أثبتوا فاعلين : أحدهما النور والآخر الظلمة . قلنا : مذهبنا هذا لا يضاهاى مذهب المجوس ، فلما ثبت على الحد الذي أجتزاه ، لأن القوم جعلوا النور فاعلاً للخير بطبعه على حد لا يمكن مفارقتة ، ولكننا أثبتنا فاعلين يفعلان على طريقة الاختيار ، وإثباتهم فاعلين على وجه الاضطرار ، وهم أيضاً يشنون الفعل الواحد من فاعلين : أحدهما محدث ، والآخر قديم »<sup>(١٤)</sup> .

أما أهل السنة والجماعة ، الذين يعدهم عبد الله بن حمزة من المجرة - وهم براء من ذلك - فإن قولهم بأن أفعال العباد كلها من الله تعالى ، إنما يلزم عنه فيما يذهب - ما يأتي :

أولاً : إن أفعال العباد قد خلقها الله فبهم وأوجدها بلا اختيار لهم في إيجادها ، ولا قدرة لهم على تحصيلها ، وهم بذلك قد صيروا الكتب المنزلة هزوا ، لأن هذه الأفعال متى كانت من الله سبحانه لم يكن للأمر بها ولا النهي عنه معنى ، ولا للوعد والوعيد وجه .

ثانياً : ولا معنى كذلك لإرسال الرسل ، ولا لأمرهم بدعاء الخلق إلى الطاعة ، كما لا يجوز أن يدعونهم إلى الخروج من صورهم وألوانهم ، فإذا كان اعتقادهم لذلك يؤدي إلى أن تكون بعثة الرسل عبثاً .

(١٣) الشافعي : ٤٠١ ج ١ .

(١٤) الشافعي : ١٧٤٢ ج ١ .

ثالثاً : إنهم متى قاتلوا إن هذه الخبايا والمعاصي من خلق الله في العصاة ، كان في ذلك أعظم وجوه الأغراء بها لتكلى من جالسهم وسمع كلامهم من الجهال التي تنوق أنفسهم إلى هذه المعاصي الشهوية ، لأنهم إذا اطلعوا من قلوبهم على أنهم متى أضاعوا أنفسهم في طلب شهواتهم ونيل لذاتهم ، فذلك شيء ليس منهم ، وإنما هو من الله تعالى ، خلقه وأراده منهم .

رابعاً : إنهم متى قاتلوا إن هذه الطاعات ليست من فعل العباد ، وإنما هي من الله خلقها فيهم ، وسمع ذلك من جالسهم من العامة ما يعلمه من مشقة الطاعة وأنها كربة على النفس ، فإنه لا يعزم على تحمل مشقتها ولا يواظن نفسه على الصبر على كلفها ، بل يقول : إذا كانت هذه الأفعال من الله ، فعنى خلقها في وجدت ، شئت أو أبيت ، ومتى لم يخلقها في لم توجد ، فلا معنى لعزمي عليها ، ولا مجاهدتي نفسي فيها ، وبذلك صارت مجالستهم أضر على الإنسان من تناول السم المهلكة .

خامساً : إن من جالسهم من العصاة وسمع مقاتلهم : إن هذه المعاصي من الله تعالى لا من العصاة ، وقد ثبت ذلك في نفسه ، لم تصح له توبة منها أصلاً ، لأن أحد شرائط التوبة الاعتراف بالذنب ، والاعتراف هو قول الجاني : جنيت أو أسأت أو أذبت فاعذرني واغفر لي . وذلك لا يصح من يزعم أن جميع المعاصي من الله تعالى ، فتكون مجالستهم سادة لباب التوبة<sup>(١٥٥)</sup> .

ويخلص الإمام الزيدى من هذا النقد لعقيدة الجبرة ، وما يلزم عنها من آثار سلبية تظهر في سلوك المؤمنين بها ، إلى عقيدة مخالفة فحواها أن الإنسان خالق لأفعاله ، ولا غضاضة في هذا القول ، ففي قوله تعالى : ﴿ فبارك الله أحسن الخالقين ﴾<sup>(١٥٦)</sup> اثبات خالق سواه بخلاف مقالة الجبرة القدرية<sup>(١٥٧)</sup> .

(١٥٥) الشارح : ١٧٤/٢ أ .

(١٥٦) سورة المؤمنون : ١٤ .

(١٥٧) الشارح : ١٨٧/٣ أ .

## موقفه من المعتزلة :

يذكر عبد الله بن حمزة أن للمعتزلة تصانيف جمّة ، ويقول : « وخلافهم لنا قليل ، إنما يخالفون في الإمامة ، ويقولون بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان ، وينكرون أن يكون النص على علي عليه السلام يوجب الإمامة بعد رسول الله صل الله عليه وآله وسلم »<sup>(١٨)</sup>.

ولكن ماذا عن علاقة المنزلة بالمرجئة ؟ يبين الإمام عبد الله بن حمزة أن المرجئة طوائف شتى ، فمنهم جبرية وعدلية ، ومنهم من يقول : مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة لا وعيد عليه ، إذ يغفر له لا محالة ، ولا تضربه معصيته ، ولا يستحق العقاب بسبب الإسلام ، ومن المرجئة من يجوز كلا الأمرين : الغفران والعقاب وترك القطع ، ولم يرو عن أحد من السلف ترك القطع إلا عن مقاتل بن سليمان ثم اتبعه طائفة من الحشوية . « واختلفت الإمامية فمن قائل بالإرجاء ، ومن قائل بالوعيد وهم الأقل . وفي العدلية من يقول بالإرجاء ... وأما الزهيدية فلم يرد عن أحد من أئمتهم نقول بالإرجاء »<sup>(١٩)</sup>. إن لقب العدلية يطلقه عبد الله بن حمزة في العادة على المعتزلة ، ومن المعلوم أن المعتزلة أنفسهم يحبون أن يطلق عليهم هذا الاسم ، فإذا ثبت هذا كان من الغريب قول عبد الله بن حمزة « وفي العدلية من يقول بالإرجاء » ، ذلك أن قصة نشأة المعتزلة تدل على أن ظهور مذهبهم إنما كان نتيجة رفض المؤسس الأول ( واصل بن عطاء أو عمرو بن عبيد ) لكل من مذهبي الخوارج والمرجئة ، وما قولهم بالمنزلة بين المنزلتين إلا لمخالفتهم للفرقتين جميعاً ، فكيف يقول أحد من المعتزلة بالإرجاء ؟

## مذهبه الزهيدى :

الزهيدية هي أحد مذاهب الشيعة ، هكذا يعلن عبد الله بن حمزة ، ويشير إلى أن الشيعة فرق كثيرة ، ويذكر أن الشيعة تنقسم إلى ثلاث عشرة فرقة ، ثم

(١٨) تنقيح : ٤٦١ أ ب .

(١٩) تنقيح : ٤٠٦ ب .

يقول « والعمدة في التشيع مذهب الزيدية » ، إنه العدل والتوحيد ، وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام عموماً إلا من خرج من بني القبايس لما ضعفوا وتوددوا إلى العامة<sup>(٢٠)</sup>.

ويخصص الإمام الزيدي في كتابه الشافي فصلاً « في أن علياً عليه السلام وصى رسول الله » حاول فيه أن يقدم أدلة على أن علياً أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم<sup>(٢١)</sup>. وفي إحدى مخطوطات المكتبة الغربية بجامع صنعاء مسائل سئل عنها عبد الله بن حمزة جاء في بعض إجابته « مذهبنا أن عترة الرسول صلى الله عليه وسلم هم : علي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين وأولادهما في جميع الأعصار » ، ومن الأدلة التي يوردها في هذا الصدد قوله تعالى : ﴿ ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾<sup>(٢٢)</sup>. ويزعم أن المقصود هنا بأهل البيت علي وفاطمة والحسين وأولادهما<sup>(٢٣)</sup>. وينسى الإمام الزيدي أو يتناسى أن الآيات القرآنية الخمس السابقة على الآية الكريمة التي استشهد بها وكذلك الآية التالية لها ، إنما الخطاب في هذه الآيات جميعاً موجه إلى نساء النبي<sup>(٢٤)</sup>، ومع ذلك بصر الشيعة على مفهومهم الضيق لأهل البيت ، فيستبعدون من يستبعدون بغير مبرر .

ولكن ما موقف الإمام عبد الله بن حمزة من الصحابة رضوان الله عليهم ؟ لقد أفرد بعده يحيى بن حمزة رسالة خاصة في الدفاع عن الصحابة وبخاصة الشيخين أبي بكر وعمر ، وهي « الرسالة الوازنة للمتعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين » ، كما دافع عنهم في كثير من كتاباته الأخرى على نحو ما بين أستاذنا الدكتور أحمد صبحي<sup>(٢٥)</sup>. ولكن ماذا عن موقف الإمام نفسه ؟ يقول ابن الزحيف في مخطوط مآثر الأبرار : « ونقلت من كتاب الرياض المستطابة للفقهاء يحيى بن أبي بكر العامري الحرصي المحدث ما لفظه : ومن كلام المنصور

(٢٠) الشافي : ٤٢/١ ب .

(٢١) الشافي : ٢٧/١ وما بعدها .

(٢٢) الأحزاب : ٣٣ .

(٢٣) مجموعة رسائل مخطوطة بالمكتبة الغربية رقم ٣٩ مجموع ، ص ٢٣٥ وما بعدها .

(٢٤) راجع سورة الأحزاب : ٢٨ - ٣٤ .

(٢٥) راجع كتابه القيم الزيدية ، ص ٣٨٢ وما بعدها .

بأنه في جواب المسائل النهائية<sup>(٢٦٦)</sup>، فإنه رضى الله عنه - يعنى المنصور - أننى عليهم - يعنى كبار الصحابة - وعدد من آثارهم على غيرهم . قال فيهم : وهم خير الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعده ، فرضى الله عنهم وجزاهم عن الإسلام خيراً . ثم قال : فهذا مذهبا ، لم نكتم سواه تقية ، ومن هم دوننا مكاناً وقدرأ بسب ويلعن ، ويلذم ويطعن ، ونحن إلى الله سبحانه من فعله براء ، وهذا ما يقضى به علم آبائنا إلى علي عليه السلام ... «<sup>(٢٦٧)</sup> . ويقول في كتابه الشافي : « إنا لا نكره الثناء على أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم »<sup>(٢٦٨)</sup> .

إلا أنه لا يعدهم في مكانة علي بن أبي طالب ، فما يقال عن أبي بكر من أنه ثاني اثنين في الغار ، فهو صحيح بنص العزيز الجبار<sup>(٢٦٩)</sup> ، ولكن أفضل منه من بات على فراش النبي وفداه بمهجته ، أما انقول إن أبا بكر صديقه فهو الصديق الأصغر ، وإن كان أكبر سناً ، وعلي عليه السلام الصديق الأكبر ، وأما ما يقال إنه ضجيعه في تربته فلذلك بعض ما نقم آل الرسول ، لأنه دخل بيت النبي بغير إذنه<sup>(٢٧٠)</sup> .

ولكنه يغلو في ذم بعض الصحابة فيقول : « ولنا نلعن معاوية وعمر إلا لما صح بنقل صحيح عن آبائنا عليهم السلام وأشياعهم رضى الله عنهم أن علياً كان يلعنه وأتباعه كعمر بن العاص وأبي موسى الأشعري . فكانت لعنة علي من لعنة النبي ، ولعنة النبي من لعنة الله ، ومن يلعن الله فلن تجده له نصيراً »<sup>(٢٧١)</sup> .

(٢٦٦) الرسالة الإمامية في الجواب عن المسائل النهائية ، منها نسخة مخطوطة ضمن مجموعة بمكة

المسند الريضاني رقم ٢٨٢٨ على ما يذكر الميثقي .

(٢٦٧) مآثر الأبرار ، ص ٢٥ أ .

(٢٦٨) الشافي : ١٩٠/٢ أ .

(٢٦٩) يقصد ما ورد في سورة التوبة : ٤٠ .

(٢٧٠) الشافي : ١٨٦/٢ ب - ١٨٧ ب .

(٢٧١) الشافي : ١٨٨/٢ أ .

إن عنياً عليه السلام مولى كل مؤمن ومؤمنة ، فدخل فيه أبو بكر وعمر وعثمان ، وحصل من ذلك معاداة الله لنعاوية وسحرية<sup>(٣٢)</sup> .

أما العباس - سلام الله عليه - فهو أهل لكل فضيلة ، ومحل لكل رفعة ، وكيف لا يكون وهو عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أسعده الله بالإسلام ، ففضائله لا تنكر ، وشرفه لا يغرر . أما أولاد العباس ، ومنهم الخلفاء العباسيين فهم أعداء لأهل البيت ، يعلم ذلك ضرورة من ظهور دولتهم إلى يومنا هذا . وقفهاء العامة - رحمهم الله تعالى - كأبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل ، وفضلاء أتباعهم ، فيعلم من عرف أخبارهم واقتفى آثارهم نبذهم لبني العباس ، وكل ذي دين يعلم أن تولى بني العباس - على ما هم عليه من المعاصي - ضلال في الدين ، وذلك في الإسلام ، فكيف من يجعلهم له أئمة ؟ ولا يعلم أحد يدين بذلك إلا الراوندية ومن حدا حدوهم من الخشوية . إن الخشوية يسوون بين بني العباس وبين عدوهم ، لأنهم يقولون إن الإمامة بالقهر والغلبة ، فمن غلب كان إماماً ، ويكفيه الإقرار بالإسلام ، وإن عمل ما عمل ، وهذا انسلاخ من الدين كما ترى .

فإن قيل إن الملك فيهم إلى يومنا هذا فسلم ، وأما إلى يوم الدين فلا يسلم ذلك ، لأن دولة أهل البيت لا بد من ظهورها وعمومها ، وقد عنمنا ذلك بالإسناد الموثوق به : إن الملك فيهم ، وفيها النبوة . والمراد خلافة النبوة .

ويستطرد عبد الله بن حمزة في هجومه العنيف على الخليفة العباسي في عصره وهو - كما ذكرنا - الناصر أحمد بن المستظهر ، ويبين ما ساد حكمه من ظلم ، ظهر في خراب البلاد ، وهلاك العباد ومصادرات الأغنياء وتعديبهم بأنواع العذاب ، ومنع الناس في دار هجرته بغداد من إصلاح منازلهم إلا بشيء من المال يسلم إلى الإمام ، ولا يزال سيفه رطباً من دماء المسلمين ، وسيرته إنما هي سيرة الجبارين المتكبرين العتاة المتردين<sup>(٣٣)</sup> .

(٣٢) الشافعي - ١٩٠/٢ ب .

(٣٣) الشافعي : ١٩٢/٢ - ١٩٤ ب .

## زبد الأدلة :

كنا فيما سبق نقب بعض صفحات موسوعة المنصور الضخمة « الشافى » التى لا تشبه موسوعة ابن سينا « الشفاء » فى الاسم فحسب ، بل التشابه قائم بينهما أيضاً فى الضخامة والتنوع . والآن نتقل من أكبر مؤلفات الإمام إلى أحد مؤلفاته الصغيرة ، بل لعله أصغر مؤلفاته على الإطلاق ، وهو كتابه « زبد الأدلة » ، وعلى الرغم من صغر هذا الكتاب إلا أنه على جانب كبير من الأهمية ، لأنه محاولة فريدة فى تلخيص المذهب الزيدى كله فى أقل عدد ممكن من الكلمات الموجزة ، الدالة فى نفس الوقت على عقائد كبرى أفاض فى شرحها وتحليلها فى مصنفاته الأخرى الكبيرة ، وفى مقدمتها « الشافى » .

نحن إذن بإزاء رسم تخطيطى لمعالم بيان العقيدة الزيدية ، تظهر فى شفافيتها القواعد الأساسية ، وتبدو الدعائم الجوهرية فى صورة نقية ، تختفى فيها ظلال التفاصيل الكثيفة ، ومن ثم فإن قارئ كتاب زبد الأدلة ، يدرك مباشرة أنه يسير فى طريق مستقيم يصل فى أقصر وقت ممكن إلى المبادئ العامة للزيدية ، لا ينغى على شيء من المقارنات بالفرق الأخرى ، ولا يشتغل بدحض الآراء المخالفة ، والتفتيش عما يلزم مذاهب الخصوم من نتائج متناقضة فاضحة ، ولا يشغل نفسه بغير الوقوف على « زبد » المذهب الزيدى .

وبعرض عبد الله بن حمزة المبادئ الأساسية لمذهبه الزيدى فى هذا الكتاب فى صيغة أسئلة وأجوبة ، يفترض أن سائلاً يطرح على القارئ أسئلة تسمى صميم المذهب الزيدى ، ثم يقدم الإجابة الموجزة لكل سؤال ، ويراعى فى ترتيب الأسئلة والأجوبة نفس ترتيب عناصر المذهب ، والكتاب يتكون من ثلاثين سؤالاً وجواباً .

ولم يوضح الإمام المنصور بالله الغرض الذى من أجله كتب هذا الكتاب ، إلا أننا نرجح أن يكون هدفه من تأليفه إما أن يكون بمثابة « مفكرة » للدعاة الزيدية تعينهم على الترويج لمذهبهم ، وإما أن يساعد فى تعليم الأتباع ما لا غنى عنه من مبادئ المذهب .

وتبدو النزعة العقلية واضحة جلية من بداية الكتاب ، وتسرى فيه حتى نهايته ، تلك النزعة التي ضمت تحت جناحها المعتزلة والزيدية ، وألفت بين قلوبهم ، وسلكتهم جميعاً تحت شعار أهل العدل والتوحيد .

ويتكون كتاب زيد الأدلة من بابين : باب في التوحيد ، وباب في العدل ، ويستهل المنصور بالله كتابه بإعلان أن أول ما يجب على المرء النظر العقل المؤدى إلى معرفة الله ، وهذا الاستهلال يذكرنا بمصنفات المعتزلة ، فقد بدأ القاضي عبد الجبار بن أحمد ( ت . سنة ٤١٥ هـ ) كتابه شرح الأصول الخمسة بقوله « إن سأل سائل فقال : ما أول ما أوجب الله عليك ؟ فقل : انظر المؤدى إلى معرفة الله تعالى ، لأنه تعالى لا يعرف ضرورة<sup>(٣٤)</sup> ، ولا بالمشاهدة<sup>(٣٥)</sup> ، فيجب أن نعرفه بالتفكير والنظر<sup>(٣٦)</sup> .

ويتضمن باب التوحيد دليلاً على وجود الباري ، وهو دليل السببية الذي يستند إلى فكرة حدوث العالم ، وبياناً بصفات الله تعالى ، فثبت المصنف الصفات الثلاث التي يثبتها المعتزلة : القدرة والعتم والحياة ، ثم يضيف إليها صفتي السمع والبصر ، متفقاً في ذلك مع شيوخ المعتزلة البصريين ، ومخالفاً شيوخ المعتزلة البغداديين ممن ينفون عن الله تعالى أنه سمع بصير ، ويؤولون هاتين الصفتين الخبريتين بأنهما تدلان على أنه تعالى مدرك للمدركات السمعية والبصرية على معنى أنه عالم بها<sup>(٣٧)</sup> . وينفى الإمام الزيدى مع المعتزلة رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة ، ويختتم باب التوحيد بدليل عقل على وحدانية الله تعالى وقدمه .

أما الباب الثاني فيخصصه للقول في العدل ، ويتفق مع المعتزلة أيضاً في إثبات أنه تعالى عدل حكيم ، ويلزم عن ذلك نفى خلق الله لأفعال العباد ، (٣٤) العلم الضروري هو العلم الذي لا يمكن نفيه عن النفس بوجه من الوجوه ، وقد حد القاضي عبد الجبار العلم الضروري بأنه العلم الذي لا يمكن للعالم نفيه عن نفسه بشك ولا شبهة . ( شرح الأصول الخمسة ، ص ٤٨ ) .

(٣٥) المشاهدة من الإدراك بالمحسوس الخمس ، وتستعمل في الأغلب للدلالة على الإدراك بحاسة البصر . ( شرح الأصول الخمسة ، ص ٥١ ) .

(٣٦) شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٩ .

(٣٧) راجع شرح الأصول الخمسة ، ص ١٦٨ .

وردها إليهم وحدهم ، وأنه سبحانه لا يكلف أحداً من عباده مالا يطيق ، وأن الآخرة استحقاق وأعواض ، ويثبت أن القرآن كلام الله محدث .. وهذا الأصل الثاني : العدل لدى عبد الله بن حمزة - كما هو الشأن لدى المعتزلة -- يتضمن الأصول الثلاثة الباقية من أصولهم الخمسة :

يتضمن القول بالوعد والوعيد ، وأن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لا تشمل أهل الكبائر .

ويتضمن القول بالتميز بين المنزلتين ، فأهل الكبائر يسميهم فساقاً ، وهم لا يندرجون تحت طائفة المؤمنين ، ولا تحت طائفة الكفار .

ويتضمن أيضاً القول بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم يتجاوز أخيراً هذه الأصول الخمسة التي قالت بها المعتزلة ، فيضيف إليها إثبات الإمامة لعلي بن أبي طالب ثم من بعده للحسين وأولادهما من بعدهما .

### تحقيق الكتاب :

أورد عبد الله الحيشي<sup>(٣٨)</sup> في قائمة مؤلفات عبد الله بن حمزة المصنف رقم ٤٢ « زبدة الأدلة في معرفة الله سبحانه وتعالى » ، هكذا « زبدة » ، وذكر أن منه نسخة مخطوطة سنة ١٣٠١ بمكتبة جامعة الرياض ( جامعة الملك سعود حالياً ) برقم ٢/٢٦١٣ ، ومنه نسخة أخرى ضمن مجموعة برقم ١٠٢ بمكتبة جامع صنعاء « الكتب المصادرة » .

أما النسخة الثانية ، وهي من الكتب المصادرة ، فلم يكن بالطبع في الإمكان الاطلاع عليها ، يد أنى في إحدى زياراتي المتعددة للمكتبة الغربية بجامع صنعاء عثرت على نسخة من الكتاب بعنوان « زيد الأدلة في معرفة الله سبحانه وتعالى » ضمن مجموعة رسائل في مخطوط رقم ٣ بمجموع ، ويقع الكتاب في أربع صفحات من صفحة ٨٣ إلى صفحة ٨٦ في المخطوط المذكور ، إلا أن هذه النسخة للأسف ناقصة من البداية ، وعلى وجه التحديد

(٣٨) حكام اليمن ، ص ٩٢ .

بتقصها الباب الأول كله ، وتبدأ هكذا : « فإن قيل لك : ما اندليل على أنه تعالى عدل حكيم ... » ، وقد نقلت هذه النسخة الناقصة فيما نقلت من مخطوطات جامع صنعاء واحتفظت بها .

وعندما انتقلت من جامعة صنعاء إلى جامعة الملك سعود بالرياض تمكنت من الحصول على ميكروفيلم للنسخة الموحدة بمكبتها ، وهي نسخة كاملة للكتاب ، بعنوان « كتاب زيد الأدلة للإمام المنصور بالله ... » ، والكتاب ضمن مجموعة رسائل زيدية برقم ٢/٢٦١٢ ، ويقع الكتاب ما بين صفحة ٨٦ و صفحة ٩٠ من المخطوط ، وعدد سطور الصفحة الواحدة ٢١ سطرأ ، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد ١٤ كلمة ، والمداد المستخدم لوانان : الأسود والأحمر .

وقد رمزت لنسخة جامعة الملك سعود بالحرف أ ، ورمزت لنسخة جامع صنعاء بالحرف ب .



## كتاب زبد الأدلة<sup>(٣٩)</sup>

للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، ابن رسول الله ، صلى الله عليه ، وآله وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال مولانا أمير المؤمنين المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان ، عليه السلام :

[ باب القول في التوحيد ]<sup>(٤٠)</sup>

- إن قيل لك : ما أول ما أوجب الله عليك ؟  
قلت : النظر المؤدى إلى معرفة الله ، لأن معرفته واجبة ، ولا تصح إلا بالنظر والاستدلال .
- فإن قيل لك : ما الدليل على أن للعالم صناعاً صنعه ، ومدبراً دبره ، حتى توجب معرفته أو لا توجبها ؟  
قلت : لأن هذه الأجسام محدثة ، والمحدث<sup>(٤١)</sup> لا بد له من محدث<sup>(٤٢)</sup> ، ومحدثها ليس إلا الله سبحانه وتعالى .
- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه قادر ؟  
قلت : لأن الفعل قد صح منه ، والفعل لا يصح إلا من قادر .
- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه عالم ؟

(٣٩) في ب : زبد الأدلة في معرفة الله سبحانه وتعالى .

(٤٠) هذا العنوان إضافة من عندنا ، غير موجود بالمخطوطة أ ، وانساب برمنه ناقص في المخطوطة ب .

(٤١) والمحدث : يفتح الدال .

(٤٢) محدث : بكسر الدال .

قلت : لأن<sup>(٤٣)</sup> الفعل المحكم قد صرح منه ، والفعل المحكم لا يصح إلا من عالم .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه حي ؟

قلت : لأنه قادر عالم ، والقادر العالم لا يكون إلا حياً .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه سميع بصير ؟

قلت : لأنه حي ، لا آفة به ، وكل من كان حياً لا آفة به فهو سميع بصير .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه قديم ؟

قلت : لأنه لو لم يكن قديماً لكان محدثاً ، ولاحتاج إلى محدث ، والكلام في المحدث كان الكلام فيه ، فإن احتاج إلى محدث آخر ، أدى إلى الانقياد إلى ما لا نهاية له ، وذلك محال ، ثبت أنه قديم .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه يستحق هذه الصفات لذاته ، من دون مؤثر من فاعل أو علة ؟

قلت : لأن الفاعل سواء ، لا يخلو : إما أن يكون قديماً أو محدثاً . ولا يجوز<sup>(٤٤)</sup> أن يكون محدثاً ، لأن القديم سبحانه وتعالى متقدم عليه ، ومن حق المؤثر أن يسبق ما هو مؤثر فيه ، ولا يجوز أن يستحق هذه الصفات لعلة ، لأن العلة لا تخلو : إما أن تكون موجودة أو معدومة . والموجودة لا تخلو : إما أن تكون محدثة أو قديمة . ولا يجوز أن يستحقها لعلة معدومة ، لأنه معه ومعنا على سواء ، فهو أوجب له ، لأوجب لنا ، ومعلوم خلافه ، ولا يجوز أن يستحقها لعلة قديمة ، لأنه لا قديم سواء ، على ما بيناه . ولا يجوز أن يستحقها لعلة محدثة ، لأن من حق العلة أن تتقدم على مضمونها ، فهو تقدمت عليه نقضت كونه قديماً ، وقد ثبت قدمه ، ولو تقدم عليها نقض كونها علة . بقى أن يستحقها لذاته سبحانه وتعالى .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه لا يشبه الأشياء ؟

قلت : لأنه لو أشبهها لجاز عليه ما جاز علينا من الثغر والزوال والتنقل من حال إلى حال ، وذلك من امارات المحدث .

(٤٣) من هنا تبدأ من ٨٧ في المخطوطة أ .

(٤٤) في الأصل : لا يجوز بدون الواو .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه سبحانه غنى ؟  
قلت : لأن الحاجة لا تجوز إلا على المحدث ، وقد ثبت أنه قديم .
- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه لا يرى بالابصار ؟  
قلت : لأنه لو جاز رؤيته في حال من الأحوال ، لرأيناه الآن لأن لا مانع بيننا وبينه ، فلما لم نره مع ذلك ، علمنا<sup>(٤٦)</sup> أنه لا يجوز عليه الرؤية في الدنيا ولا في الآخرة .
- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه سبحانه وتعالى واحد ، لا ثاني له معه في القدم والإلهية ؟  
قلت : لو كان معه ثان ، لأدى إلى التمام بينهما ، فلا يوجد أحدهما ما يكره الثاني ، وذلك يدل على عجزهما . وقد ثبت كونه سبحانه وتعالى قادراً .

### باب القول في العدل

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه سبحانه<sup>(٤٧)</sup> عدل حكيم ؟  
قلت : لأنه لا يحمل على الجور والعبث إلا ذو<sup>(٤٧)</sup> الحاجة والجهل ، وقد ثبت أنه تعالى<sup>(٤٨)</sup> عالم غنى ، ثبت أنه سبحانه<sup>(٤٩)</sup> عدل حكيم ، لأن من علم قبح الصيغ وكان عنه غنياً<sup>(٥٠)</sup> ، لم يفعله أصلاً شاهداً أو<sup>(٥١)</sup> غائباً .
- فإن قيل لك : أفعال العباد منهم أو<sup>(٥٢)</sup> من الله سبحانه<sup>(٥٣)</sup> ؟  
قلت : بل<sup>(٥٤)</sup> منهم لأنه سبحانه وتعالى<sup>(٥٥)</sup> أمرهم ببعضها ونهاهم عن

(٤٥) من هنا تبدأ من ٨٨ في المخطوطة أ .

(٤٦) في ب : تعالى .

(٤٧) في ب : قو ناقصة .

(٤٨) في أ : تعالى ناقصة .

(٤٩) في ب : تعالى .

(٥٠) في ب : وكان غنياً عن فعله .

(٥١) في ب : ولا .

(٥٢) في ب : أم من .

(٥٣) في أ : سبحانه ناقصة .

(٥٤) في ب : بل ناقصة .

(٥٥) في ب : لأن الله سبحانه .

بعضها ، ولا يجوز أن يأمرهم بفعله ولا ينههم عن فعله<sup>(٥٦)</sup>، لأنه عدل  
حكيم .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أن الله تعالى<sup>(٥٧)</sup> لا يقضى إلا بالحق ؟  
قلت : لأن القضى<sup>(٥٨)</sup> بالمعاصي باطل ، والقضى بالباطل باطل<sup>(٥٩)</sup> قبيح .  
وقد قال تعالى : ﴿ والله يقضى بالحق ﴾<sup>(٦٠)</sup> .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه لا يعذب أحداً<sup>(٦١)</sup> إلا بذنبه ، ولا يبيبه<sup>(٦٢)</sup>  
إلا بعينه ؟

قلت : لقوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾<sup>(٦٣)</sup>، ولقوله  
تعالى : ﴿ فكلاً أخذنا بذنبه ﴾<sup>(٦٤)</sup> .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أن الله سبحانه<sup>(٦٥)</sup> لا يكف أحداً<sup>(٦٦)</sup> من  
عباده<sup>(٦٧)</sup> ما لا يطيق ؟

قلت : لأن تكليف ما لا يطاق قبيح ، والله تعالى لا يفعل القبيح<sup>(٦٨)</sup>، ولقوله  
تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾<sup>(٦٩)</sup> .

- فإن قيل لك : لم قلت إنه لا يجب الظلم ، ولا يريد الكفر ، ولا يرضى  
الفساد<sup>(٧٠)</sup> ؟

(٥٦) ق : ب : وهو لا يأمرهم وينههم عن فعله .

(٥٧) ق : أ : على أنه سبحانه .

(٥٨) ق : ب : القضى ناقصة .

(٥٩) ق : أ : باطل ناقصة .

(٦٠) سورة غافر : ٢٠ .

(٦١) ق : ب : أحداً .

(٦٢) ق : أ : يبيبه .

(٦٣) سورة الحج : ٤٠ .

(٦٤) سورة الضحى : ٤٠ .

(٦٥) ق : ب : تعالى .

(٦٦) ق : ب : أحداً .

(٦٧) ق : أ : من عباده ناقصة .

(٦٨) ق : ب : ... قبح والله تعالى لا يفعل ... ناقصة .

(٦٩) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٧٠) ق : أ : إن الله تعالى لا يريد الظلم ، ولا يرضى الكفر ، ولا يحب الفساد .

قلت : لأن جميع ذلك راجع إلى الإرادة ، وإرادة القبيح فيحة ، والله تعالى لا يفعل القبيح .

فإن قيل لك : لم قلت إن الآلام<sup>(٧١)</sup> من الله سبحانه وتعالى ؟ ولم قلت لا بد من العوض عليه<sup>(٧٢)</sup> ؟

قلت : لأن جميع الآلام خارجة من مقدمات العباد<sup>(٧٣)</sup> ، فلا فاعل له إلا الله ، والله غني عن ظلم العباد ، وعالم بقبح القبيح<sup>(٧٤)</sup> ، وغني عنه ، ولا بد من العوض والاعتبار .

- فإن قيل لك : لم قلت إن القرآن كلام الله تعالى ؟

قلت : لأن النبي ، صلى الله عليه ، وآله وسلم ، كان يدين بذلك<sup>(٧٥)</sup> ، ويغير به ، وهو لا يدين إلا بالحق ، ولا يغير إلا بالصدق ، لكونه رسولاً حكيماً عدلاً<sup>(٧٦)</sup> .

- فإن<sup>(٧٧)</sup> قيل لك : لم قلت إن القرآن محدث ؟

قلت : لأنه مرتب منظوم ، يوجد بعضه في إثر بعض ، وذلك دلالة الحدوث ، ولقوله تعالى ﴿ وما يأتيهم من ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾<sup>(٧٨)</sup> .

- فإن قيل لك : لم قلت إن محمداً<sup>(٧٩)</sup> ، صلى الله عليه ، وآله وسلم ، نبي صادق ؟

قلت : لأنه جاء بالمعجز الذي شهد بصدق دعواه<sup>(٨٠)</sup> ، ولا يجوز ظهور المعجز<sup>(٨١)</sup> إلا على نبي صادق فيما ادعاه .

(٧١) ق ب : الألم .

(٧٢) ق ب : عليه ناقصة .

(٧٣) ق ب : لأن الألم عل ذلك الوجه خارج مقدمات العباد .

(٧٤) ق ب : العيب .

(٧٥) ق أ : به .

(٧٦) ق أ : ولكونه عدل حكيم .

(٧٧) من هنا تبدأ ص ٨٩ من المخطوطة أ .

(٧٨) ق ب : ولقوله تعالى ... ناقصة . والآية المذكورة هي الآية ٢ من سورة الأنبياء .

(٧٩) ق أ : النبي .

(٨٠) ق ب : دعوته .

(٨١) ق أ : المنص .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أن الله تعالى<sup>(٨٢)</sup> يخذل أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار<sup>(٨٣)</sup> ؟

قلت : لأن الله تعالى وعد نوابه بالجنة ، وتوعد أعداءه بالنار ، واخلاف الوعد والوعيد قبيح<sup>(٨٤)</sup> ، والله تعالى لا يفعل القبيح .

فإن<sup>(٨٥)</sup> قيل لك : ما الدليل على دخول الفاسق النار ، وخطوهم فيها ؟

قلت : لقوله تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له ناز جهنم خالد فيها أبداً ﴾<sup>(٨٦)</sup> ، والخطو هو الدوام . واخلاف الوعيد كذب ، والكذب قبيح .

فإن قيل لك : لمن يقضى الله بشفاععة النبي ، صلى الله عليه ، وآله وسلم<sup>(٨٧)</sup> ؟

قلت : لا يقضى بها إلا لمن يستحق الجنة ، دون من استحق النار ، لقوله تعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾<sup>(٨٨)</sup> . والفاسق ظالم بالإجماع .

فإن قيل لك : ما يسمى المرتكب للكبائر من أهل<sup>(٨٩)</sup> الشهادتين ، ولا يقدم على شيء من الكفر<sup>(٩٠)</sup> ؟

قلت : أسميم فاسقاً ، لأن لفكفر أفعالاً مخصوصة ، لها أحكام

مخصوصة<sup>(٩١)</sup> ، ولا أسميم منافق ، لأن المنافق من أظهر الإسلام ، وأيض الكفر ، وليس هذه حال الفاسق ، ولا أسميم مؤمن ، لأن الإيمان اسم

(٨٢) ل ب : أنه تعالى .

(٨٣) هذا السؤال ل ب ينضم إل سؤلين ، فإليهما إجابان .

(٨٤) ل ب : واخلاف الوعيد كذب ، والكذب قبيح .

(٨٥) في أ : سقط هذا السؤال وإجابته .

(٨٦) سورة البقر : ٢٣ .

(٨٧) ثمة تحريف في صيغة السؤال في كل من السختين ، فزم التسيق بينهما .

(٨٨) سورة غافر : ١٨ .

(٨٩) ل ب : ممن كفر .

(٩٠) في أ : ولا يظلم ... فانصة .

(٩١) في أ : لأن لفكفر أحكاماً مخصوصة .

شريف ، والفاستق يستحق الإهانة ، فلم يبق سائلاً من هذه الموانع وأحد الموانع<sup>(٩١)</sup> . الإجماع على تسميته فاسقاً .

- فإن قيل لك : لم قلت إن<sup>(٩٢)</sup> الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ؟ قلت : لقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٩٣)</sup> . وهذا هو أمر ، والأمر يقتضى الرجوب .

- فإن قيل لك : لم قلت إن الإمام بعد رسول الله ، صلى الله عليه ، وآله ، وسلم ، علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه في الجنة<sup>(٩٤)</sup> ؟ قلت : لقول النبي ، صلى الله عليه ، وآله ، وسلم « من كنت مولاه فعلي مولاه » إلى آخره<sup>(٩٥)</sup> ، وهو لا يريد بذلك إلا إثبات<sup>(٩٦)</sup> الإمامة ، فثبت بذلك<sup>(٩٧)</sup> كونه إماماً عليه السلام .

- فإن قيل لك : لم قلت إن<sup>(٩٨)</sup> الإمام بعده ولده<sup>(٩٩)</sup> الحسن ، ثم بعده الحسين ، عليهما السلام ؟

قلت : لقول النبي صلى الله عليه ، وآله ، وسلم « الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ، وأبوهما خير منهما » ، وهذا نص صريح<sup>(١٠٠)</sup> على إمامتهما<sup>(١٠١)</sup> .

- فإن قيل لك : لم قلت إن الإمامة بعدهما<sup>(١٠٢)</sup> في أولادهما ؟

(٩٢) كذا ( أ ) ل ب ، ول أ : واحد والموانع .

(٩٣) ل أ : إن ناقصة .

(٩٤) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٩٥) ل ب : صلوات الله عليه .

(٩٦) ل ب : إلى آخره ناقصة .

(٩٧) ل ب : إثبات ناقصة .

(٩٨) ل أ : ذلك ناقصة .

(٩٩) ل أ : إن ناقصة .

(١٠٠) ل أ : ولده ناقصة .

(١٠١) ل ب : وهذا تصريح .

(١٠٢) ل ب : عليهما السلام .

(١٠٣) ل أ : بعدهما ناقصة .

قنت : لإجماع الأمة والعترة عليهم السلام على نبوتها فيهم<sup>١</sup> ، واختلافهم  
فيمن سواهم .

تمت زبدة الأدب ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا  
محمد ، وآله الطيبين الطاهرين ، وأن يجعلنا في ذنك من العالمين ، والحمد لله  
أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وصلى الله على محمد ، وآله ، وسلم سليماً .

\* \* \*

(١٠٤) ق ب : لإجماع الأمة على نبوتها .

(١٠٥) ق ب الخاتمة مكفداً تحت الزبد بحمد من له الحمد والحمد ، وبركة نبيه صلى الله عن مؤلفها عدد أبنائك  
النساء ، ويصيرنا علوم أهل بيت نبيه صلى الله عليه ، وآله ، وسلم ، وأذهب عنا العسى ، وحشرنا إلى  
مرعبه ، إنه عمل ما يشاء ، قدر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العن العظيم ، وصلى الله وسلم على محمد ، وعمل  
آله ...

## المراجع

### أولاً : المخطوطات

- ابن الزحيف ، محمد بن علي بن يونس بن فند : مآثر الأبرار في تفضيل مجملات جواهر الأخبار . رقم ١٦٥ تاريخ وتراجم . المكتبة الغربية بجامع صنعاء .
- المنصور بالله : عبد الله بن حمزة : الشافي ، ٤ مجلدات : نسخة رقم ٧٧ علم الكلام ، وأخرى رقم ٨١ علم الكلام . المكتبة الغربية بجامع صنعاء .
- المنصور بالله ... : زيد الأدلة ، ضمن مجموعة رسائل . رقم ٣ مجموع . المكتبة الغربية بجامع صنعاء .
- المنصور بالله ... : زيد الأدلة ، ضمن مجموعة رسائل . مخطوط مصور . برقم ٢/٢٦١٣ بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض .
- المنصور بالله ... : مسائل مثل عنها ومن إملائه عليه السلام . ضمن مجموعة رسائل برقم ٣٩ مجموع . المكتبة الغربية بجامع صنعاء .

### ثانياً : المطبوعات

- أحمد محمود صبحي ( دكتور ) : الزيدية . الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٨٠ .
- بدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني : كتاب السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق ركس سمث . لندن ، ١٩٧٤ .
- عبد الجبار بن أحمد : شرح الأصول الخمسة ، تحقيق دكتور عبد الكريم عثمان . القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٦٥ .

- محمد عبد العال أحمد ( دكتور ) : الأيوبيون في اليمن . الإسكندرية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٠ .
- محمد بن محمد زبارة : أئمة اليمن ، ج ١ . تعز ، مطبعة النصر الناصرية ، ١٣٧٢ - ١٣٧٥ هـ .
- محمد يحيى الحداد : تاريخ اليمن السياسي ، ط ٣ . القاهرة ، دار المنا للطباعة ، ١٩٧٦ .